الإيقاع والوزن بين تصورات القدامى وتعيينات المحدثين

أ. عائشة جباري
جامعة الوادي الجزائر

الملخص

تسعى هذه الدراسة للبحث عن الإيقاع الشعري وتحديداته في اجتهادات القدامى والمحدثين ،إذ أن هناك مَن حَد من وظيفته و جعله يقتصر فقط على التفاعيل، *و هناك من ربط مفهومه بمفهوم الوزن، وذلك بتحديد النسب المكونة من الأجزاء*العروضية والتجانس الموسيقي الناتج عن تردد النغمات الصوتية، غير مفرقين بينهما ، مما ولد ارتباطا وثيقا بين المكونين الشعريين ،رغم أن الأول أعم وأشمل لتمثله في التتابع المقطعي للحركة التناغمية، أما الوزن فهو يقتصر على الأجزاء التي تسهم في بناء الإيقاع وتشكيله.

الكلمات المفاتيح :

الوزن،الإيقاع، التناغم الموسيقي، التردد الصوتي، الأجزاء الوزنية.

Résumé

Dans cet article nous est unilatéralement pour parler de poids lorsque les anciens savants et érudits modernes, car il y a une limite de son travail et fait de lui seulement le pentamètre par Khalid ibn Ahmad Al-farahidi, qui d'une part, d'autre part il y a lien compréhensible notion de rythme, en identifiant ses ratios constituants des parties de la métriques et les harmonies de musique qui en résulte que la fréquence des tons de voix, à la conclusion qu'il existe une association étroite entre les composants, cependant ce dernier généralement et inclusives, sections de Un mouvement harmonique, pèse les éléments qui contribuent à l'édification du rythme et de la composition.

Mots-clés: Poids, rythme, musique d'harmonie, audiofréquence, parties d'uniforme.

لعل ما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات آلية نطقه التي تتشكل لتخرج كوُصْلَة للتعبير عن ما يختلج في كنهه ، في أشكال تواصلية متنوعة تتزين بعضها بنفحات إبداعية تكون قادرة على تحقيق مظاهر الجمال الفني المتمثل في الجرس الموسيقي ،المنعكس عن البنية اللفظية للخطاب الأدبي، في صفته الشعرية المبنية على خصيصتين رئيستين لهذا النوع من الخطاب والمتمثلتين في الوزن والإيقاع .

هذين الأخيرين عرفا مدا وجزرا في تحديد كنههما وحقيقة كل منهما لدى أهل الاختصاص والعاملين على النص الشعري على امتداد الحقب الزمنية من اجتهادات عربية وغربية على حد سواء. ولدت نوعا من الفوضى في تحديد مفاهيم فاصلة لهذين المصطلحين .ولعلنا في وقفتنا البحثية هذه

سنحاول إماطة اللثام نوعا ما عن اللبس الحاصل حين التعرض لماهية المصطلحين ومتعلقاتهما في بنية النص الشعري.

أولا : ثنائية الوزن والإيقاع الشعري في التحديدات العربية بين الشمولية والتخصيص

عرفت الاجتهادات العربية في قضية الوزن والإيقاع تباينات في ضبط مفهومهما بين موحد جامع بين الصفات المشتركة ومفرق واضع لحدود فاصلة آخذٍ بعين الاعتبار الأجزاء والمكونات المميِزة لكل منهما، وما سيذكر من أعلام وآراء سيكون على سبيل التمثيل لا الحصر.

1- في الدراسات العربية القديمة:

إذا أخذنا التاريخ معيارا في تقصي مفاهيم المصطلحين سالفي الذكر نجد أن ابن رشيق القيرواني(456ه) قد تحدث عن الوزن وارتباط القافية به، تجلى ذلك فيقوله: «الوزن أعظم حد الشعر وأولاها به خصوصية أو هو مشتمل على القافية جالب لها ،ضرورة ألا تختلف القافية فيكون ذلك عبئا في التقفيه لا في الوزن »[1].ربط ابن رشيق القافية بالوزن فهو الذي يحقق تواجدها وذلك بخلق توازن صوتي بين وحداته المتكررة المحدثة لتجانس موسيقي يسهم في بناءها . واختلافها اختلال فيها لا في الوزن.

أما عند ابن سنان الخفاجي (ت466 ه) فحد الوزن أنه: «التأليف الذي يشهد الذوق بصحته أو العروض، فأما الذوق فالأمر يرجع إلى الحس وأما العروض فلأنه قد حصر فيه جميع ما عملت العرب عليه من الأوزان فمتى عمل الشاعر شيئا لا يشهد بصحته الذوق وكانت العرب قد علمت مثله جاز له ذلك .....والذوق مقدم على العروض، فكل ما صح فيه لم يلتفت إلى العروض في جوازه »[2].

أشار التعريف إلى الحس الناشئ عن الذوق المرتبط بالنفس الإنسانية، أما العروض فهو وثيق الصلة بالأوزان التي وضعها الخليل ابن أحمد الفراهيدي، والذوق والحس عنده أسبق ومقَدَم عن العروض في انتظام الشعر وتَقَبُله .

وحين نبحث عن مفهوم الوزن عند السكاكي(ت 626ه)نلحظ أنه لا يخرج عن مفهوم الأجزاء التي يبني عليها البيت.ويبين ذلك في قوله : « الشعر إذن هو القول الموزون وزنا عن تعمد وتسمى قافية لمكان التناسب وهي أنها تتبع نظم البيت مأخوذ من قفوت أثره ..... والميل في هذه الأقوال إلى قول الخليل »[3].

لم يحد السكاكي في تصوره للوزن و القافية مضيفا شرط التعمد في نسقية الأوزان والقوافي لتحقيق شرط التناسب ، فكأنه يؤكد على ضرورة التزام الوزن والتفاعيل الخليلية . متجاهلا الذوق و الحس اللذين جعلهما ابن سنان معيارا لتلقي الشعر وقبوله وصحته رغم تجاوزه العروض وتأخيره إياه.

ولما عرجنا على أبي حازم القرطاجني(ت684ه) في كتابه«منهاج البلغاء وسراج الأدباء» وجدناه يخصص الوزن بقوله:«أن تكون المقادير المقفاة تتساوى في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات

والسكنات والترتيب».[4]

اشترط أبو حازم القرطاجني في مفهومه للوزن أن تكون المقادير متماثلة ومتناسبة في عدد الحركات والسكنات،والتساوي بين الشطرين إذ تفصل بينهما قاسمة تشير إلى فاصل نسبي قصير المدى .

وبالعودة إلى مصطلح الإيقاع الذي عرفه ابن منظور (ت711ه) في لسان العرب بأنه من إيقاع اللحن والغناء و هو أن يوقع الألحان ويبنيها.[5] أي توقيع الألحان وتأليفها.

و أول من وظف مصطلح الإيقاع في الدراسات العربية القديمة نجد « ابن طباطبا »(ت706ه) في كتابه "عيار الشعر"[6]، إذ يقول :« وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه و اعتدال أجزاءه ، فإذا اجتمع الفهم مع صحة وزن الشعر ، صحة المعنى و عذوبة اللفظ ، وإن نقص جزء من أجزائه التي يعمل بها وهي اعتدال الوزن، وصواب المعنى ، وحسن الألفاظ كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزاءه »[7] ربط "ابن طباطبا " بين الوزن و الإيقاع في الشعر الموزون إذ لابد له من توفر شرط تناغم الحروف وعذوبتها ، وحسن انتقاء الألفاظ ، بذلك تصبح الوحدات الإيقاعية أكثر تناغما و استجابة لما يلج في نفس سامعها، مما يسهم في وضوح الدلالة و عدم حدوث إنكار الفهم ، فيتحقق الانسجام بين الصوت والمعنى . فالوزن وسيلة لتحقيق الإيقاع.

غير أن هذا التعريف يعود بنا إلى ما قاله " أبي حازم القرطاجني (ت 684ه) حين جمع بين الوزن و الإيقاع عندما اشترط تماثل الأجزاء ، ووجود القاسمة التي تفصل الشطرين من البيت الشعري فينشأ التوازي الذي يخدم البناء الإيقاعي والدلالة المنبثقة عنه .

2- الوزن والإيقاع عند العرب المحدثين بين التبعية ومحاولة التعيين:

تناول المحدثون العرب من نقاد وشعراء مصطلحي الوزن والإيقاع بنوع من التخصص والتدقيق ، بعد غنى المكتبة العربية بمؤلفات بحثية ونقدية للمصطلحات الشعرية، لنجد المتمسك بما أقره التراث العربي والمضيف عليه من اجتهاد شخصي أو ناقل للتعيين الغربي.

من أعلام النقد العربي الحديث نجد"محمد مندور "(ت 1965م)الذي عرف الوزن على أنه كم التفاعيلات التي يستقيم بها الشعر حيث تكون التفاعيل متساوية كما هو الحال في الكامل والرجز وغيرها أو متجاوبة كما هو الحال في الطويل و البسيط والمديد إذ نرى التفعيلة الأولى مساوية للثالثة والثانية مساوية للرابعة.[8] بمعنى الوزن هنا لم يخرج عن التفعيلات المتجانسة و المتساوية ،أي ابتعد عن المعنى العام الذي يقرب مفهوم الوزن من الإيقاع .

وبالرغم من أن الوزن عند بعض الدارسين المحدثين مستمد من الدراسات الغربية إلا أنه لا يبتعد عن ما ذكره الفلاسفة المسلمون على أنه: « تعاقب الحركات والسكنات التي تشكل الأسباب والأوتاد و الفواصل وتكرارها على نحو منتظم بحيث يتساوى عدد حروف المقاطع وأزمنة النطق بها في كل فاصلة من فواصل الإيقاع »[9].

ومن بين الدارسين المحدثين الذين نهجوا في تعريفهم للوزن نهج القدماء مع إضافات جديدة كانت نتيجة تأثرهم بما جد في الدراسات الغربية الإيقاعية نجد الدكتور شكري عياد(ت1999م)الذي أعطى مفهوما واحدا للوزن والإيقاع مع أنه سن أسسا لهما معا في الفصول المتقدمة من كتابه (موسيقى الشعر العربي)إذ يقول «إنه حركة منتظمة والتئام أجزاء الحركة في مجموعات متساوية ومتشابهة في تكوينها شرطا لهذا النظام »[10].

لقد وفق" شكري عياد" بين مفهوم الوزن و الإيقاع حين استقاه من حركة الكون في سيره المنتظم، وما تحدثه مكوناته من حركة دورانية واهتزازية، وبهذا فهو لم يبتعد عن ما قدمه اليونانيون الذين اعتبروا أن حركة الأوزان في المعطى اللغوي مستمدة من حركة الإنسان البدائي في سيره وعدوه لقضاء احتياجاته .

ولم يتوقف الأمر عند بعض الدارسين المحدثين عند التحديد المفاهيمي من بل هناك من استبدل مصطلح الإيقاع بموسيقى الشعر أمثال إبراهيم أنيس و شكري عياد .

وبالعودة إلى إبراهيم أنيس نجده يتحدث عن الإيقاع بقوله:« للشعر نواح عدة للجمال أسرعها لنفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام توالي المقاطع، أو تردد بعضها بقدر معين منها، وكل هذا نسميه بموسيقى الشعر »[11].

إن الشعر الجميل يحدث ذلك النغم المليء بالحس الفني و الجمال الناتج عن الحركة الموسيقية المسترسلة التي تدخل إلى النفس مباشرة فلا يعتريها النفور ، فالمصطلح الجديد (موسيقى الشعر) يقترن إلى حد بعيد بمفهوم الإيقاع « فالكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما يسمع لتتكون منها جميعا تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى ، والتي تنتهي بعد عدد معين من المقاطع بأصوات نسميها القافية »[12].

إن تردد الأجزاء الوزنية المتواشجة إيقاعيا يشد انتباه الملتقى بتتابع الصلة المتصلة من المقاطع المتناسبة والتي يشكل تكرارها ما يسمى بالقافية ، غير أن هناك من الدارسين المحدثين من اتخذ تعريف "ريشاردز" أساسا له كالدكتور شكري عياد الذي يقوم بإبعاد الصفة الفيزيائية عنه ، لعدم انتسابه إلى طبيعة الأصوات لأنه ليس منها ، والتخطيط الذي يقدمه "الكيموغراف " للإيقاع كالذي يقدمه لشعر موزون خالي المعنى فهو لا يفيد في شيء لأنه لا يثير المتلقي[13].

إذ أن الوزن عنده هو تماثل الحركات والسكنات وانسجامها من خلال عملية تكرارها، مستغرقة زمنا في النطق بها في كل فاصلة من فواصل الإيقاع .

ولم يغفل"محمد العياشي " الحديث عن ثنائية الوزن/الإيقاع منطلقا من التحديد اللغوي الذي يعرف الوزن على أنه ما لم يتعدى الكمية وبيان المقدار فهو عملية تؤتى لاختبار الثقل وبيان المقدار.

أما في الاصطلاح فالأمر عنده يدعو إلى التريث والتبصر لأنه لا يعلم ما الذي يدعونه وزنا.[14] لم

يعطينا العياشي معنا محددا للوزن، وكأنه يريد الربط بينه وبين الإيقاع في صفة الشمول .

ففي حين كانت مساحة حديثه عن الوزن مقتضبة نجده قد أفاض حين تناول الإيقاع ، فاتخذ من أصل الحركة في الكون معنى للإيقاع إذ يقول،« فالإيقاع هو المبدأ الذي أثاره الخالق سبحانه وتعالى أساسا لبناء الكون و دوامه ويتجلى ذلك بوضوح في الحركة الإيقاعية التي تؤديها الكواكب ومدارها و حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس ، وهي الحركة التي لو اختلت اختل النظام الذي يضمن الحياة على وجه البسيطة ، فالإيقاع مبدأ أزلي يضمن استمرار حركة الظاهرات المادية كما يوفر لها من التوازن والتناسب والنظام و الدوام ».[15] ومن هنا يمكن أن نستمد المعنى الفني للإيقاع الذي « هو وجداني مناطه النفس عنها يصدر و إليها ينفذ فيهتك أستارها و يحرك أوتارها ، أما في واقعه العملي فهو توفيق بين نزعتين متناقضتين الثقل والخفة »[16].

إن مصدر الحركة الإيقاعية ، النفس التي ينفذ الإيقاع إلى أعماقها فيحرك مشاعرها ويهتك كل أستارها ، أما في مفهومه العملي هو حركة توفيقية بين الثقل والخفة .

أما الدكتور كمال أبو ديب فحد الوزن عنده« التتابع الذي تكونه العناصر الأولية المكونة للكلمات ».[17]والمقصود بالعناصر الأولية الأجزاء التي يبنى عليها النموذج الشعري وبتتابعها تشكل ما يسمى الوزن، والملاحظ في هذا التعريف أن "أبو ديب " لم يحد من معنى الوزن،بل منحه وظيفة أوسع تقترن بمفهوم الإيقاع.

وآخر تعريف نورده للوزن عند الدارسين المحدثين تعريف د. عز الدين إسماعيل الذي يرى بالرغم من كون الوزن موجودا بصورة مجردة إلا أنه يبقى غامض، فالكلمة هي التي تسهم في بناء بعده الدلالي «الوزن رغم أنه صورة مجردة يحمل دلالة شعرية مبهمة، يترك للكلمات بعد ذلك تحديد هذه الدلالة »[18].

ولقد مال عز الدين إسماعيل إلى استعمال مصطلح (التشكيل الموسيقي) في حديثه عن الشعر العربي «...من هناك كان التشكيل الموسيقي الخاص في الشعر العربي من ذلك التشكيل الوزني المعروف بالبحور ، وذلك التشكيل الذي لا يشترط فيه إلا تساوي الوحدات العروضية، إذ تتكون كل وحدة منها من نظام معين من الحركات و السكنات ، فالأوزان العروضية المعروفة في الشعر العربي لا تعدو أن تكون قوالب مفرغة ومنسقة تنسيقا تجريديا صرفا ، وأما الإيقاع الداخلي للكلمات أي إيقاع الحركات و السكنات وما فيها من قوة أو لين ومن طول أو قصر ، ومن همس أو جهر ، فشيء قلما يدخل في التقدير ، وهو على كل حال لا ضابط له ولا قاعدة تحكمه »[19] .

إن التشكيل الموسيقي يأخذ شقين ، شق خاص بالبحور الخليلية التي لا تمنح أي دلالة ، وشق ثاني خاص بالتشكيل الإيقاعي الداخلي الذي يوفر الخصائص الصوتية ، فهي التي تصبغ التشكيل الوزني بصبغة دلالية تعين الدارس على فض مغاليق النص الأدبي ، ومن ذلك تقتصر وظيفة الوزن على تنظيم التفعيلات في بحر معين « فالوزن لا علاقة له بتباين المضامين ، وتكاد وظيفته تقتصر على إخراج الكلام من إطار الترسل إلى إطار الانتظام وفق انتظام التفعيلات في بحر معين .»[20]

وللإيقاع ارتباط بكل ما يجدّ في حياة الأفراد داخل دائرة الكون التي تشترط التناسب و التوازن في الترجيع و المعاودة الدورية المنتظمة لكي لا يسود الكون الفوضى والخلط ، أما الوزن فهو مجموعة التشكيلات الوزنية المتجانسة و المتجاورة أو المتكررة غير الخاضعة لنسب محددة ، فالمسافة التي نستغرقها في نطق كل جزء منها غير محددة ، كالمسافة التي يقطعها الفرس في حالة سيره أو عدوه .

ما سبق ذكره نجده متجليا في أبحاث وآراء الدكتور الناقد محمد بنيس الذي يرى أن معنى الإيقاع لا يختلف عن الآراء السابقة فالإيقاع له علاقة وثيقة بالخطاب الأدبي فهو المنتج للدلالات المبثوثة في ذلك الخطاب، وبهذه الخاصية يعتبر أوسع من الوزن « الإيقاع أوسع من العروض ومشتمل عليه ، وبذلك يكون الإيقاع نسقا للخطاب وبنية لدلالته »[21].

أما عند الدكتور محمد غنيمي هلال فيؤكد أن الإيقاع أشمل من الوزن «فهو يقترن باستمرار بمصطلح الوزن ، على الرغم من أنه ظاهرا أشمل و أعم من الوزن ، فهو وحدة نغمية تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت ، أي توالي الحركات و السكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة ....أما الوزن فهو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت »[22].

فالدارسون المحدثون يعتبرون أن الكلمة هي التي تمنح المعنى للوزن وليس العكس وإلا أصبحت جل الأوزان مناسبة لمعاني مخصصة تبعده عن القدرة التأويلية التي يمكن أن يستثمرها الملتقي في إعطاء أكثر من دلالة لتكثيف البنية العميقة التي تميز النص الأدبي عن غيره من النصوص .

كما أن للوزن علاقة وثيقة بالإيقاع لكن هذا الأخير أعم و أشمل ، فهو نتيجة الحركة التناغمية التي أنتجها تتابع المقاطع ، أما الوزن فهو الأجزاء التي تسهم في بناء الإيقاع ، وهذا التعريف يعود بنا إلى ما قاله أبي حازم القرطاجني الذي جمع بين الوزن و الإيقاع عندما اشترط تماثل الأجزاء ، إذ تخلق القاسمة التي تفصل الشطرين شيء من التوازي الذي يخدم البناء الإيقاعي .

ثانيا : الوزن والإيقاع في الاجتهادات الغربية بين الإقرار والتجاهل

لم تغب متلازمة الوزن والإيقاع في الدراسات الغربية قديمها وحديثها، حيث تلونت بأصباغ أزمنتها وما حوته معارفها هذه الأخيرة أضفت بظلالها على مفاهيم الثنائية الشعرية.

1- في الدراسات الغربية القديمة:

اشتهرت النظريات اليونانية بنزعتها الفلسفية في تحديد المفاهيم وبخاصة ما تعلق بالخطاب الشعري وقضاياه، ومن بين من تعمق وأدلى بدلوه في إعطاء تحديدات و تخصيصات لمفهومي الوزن القافية نجد أفلاطون وتلميذه أرسطو. 322ق م

يرى أفلاطون (ت347ق.م) أن الانسجام والإيقاع عنصرين أساسين في الشعر، مردهما إلى النزعة الطبيعية في الإنسان « فالوزن عنصر عرضي في الشعر بينما الانسجام والإيقاع عنصر جوهري،وفي هذا دليل على الارتباط بين الشعر والموسيقى »[23].

فلا أهمية للوزن وتفعيلاته مادام الإيقاع وموسيقاه يحدث انسجاما فعليا في النص الشعري،

فاتنا المتلقي مستهينا بفعلية الوزن وإنزال قيمتها إلى العرضية . فالإيقاع عنده أهم من الوزن.

إن الإيقاع عنصر أساسي لابد من تواجده في النموذج الشعري فهو الذي يحدث الانسجام بين الحركة و السكون ويحقق التناسب بين الصور المتجسدة في التفاعيل الوزنية عبر فترات زمنية متناسبة، كما أنه يحمل التوازنات النغمية والدلالات النفسية والاجتماعية .

أما أرسطو فيرى أن الشعر منجملة ما يخيل ويحاكى بأشياء ثلاثة باللحن وبالكلام وبالوزن ،وأن الأشعار اليونانية قد وزنت إما بوزن إيلاجيا الثالث المؤلف من أربعة عشر رجلا ،وإما بوزن التروكي من أربعة وعشرين رجلا ، وهي المقاطع ....وعلى هذا فإن تفسير كلمة رجل بالمقطع ليس واضحا ولا دقيقا ، ولكون استعمال اللفظ لدى أرسطو وعند العروضيين الفرنسيين متولدا عن النظريات اليونانية مرادا بها مجموع مقاطع.[24]

حيث يولي أرسطو اهتماما بالغا للوزن المحدد للمقاطع الذي يؤدي توالها وتكرارها إلى تولد اللحن والموسيقى.

كما أن الإيقاع عند الدارسين الغربيين القدامى لطالما اقترن بالقافية فلم يرد البتة منفصلا عنها رغم انتشار الآراء وتداخلها فهو يعني عند اليونانيين الحركة المنتظمة الموزونة .Rythmos في تحديد ماهية كل منهما ،يعني أن الإيقاع Rythmos عند اليونانيين الحركة المنتظمة الموزونة .

وهو بهذا المفهوم بقي سائدا حتى القرن السادس عشر ثم تم الفصل بينهما ، وأدرك "بولدير" بحسه الفني أن الإيقاع ليس في غنى عن القافية ، ولا القافية في غنى عنه فكلاهما يستجيبان في الإنسان إلى الحاجيات الخالدة والرتيبة والسيمترية والمفاجئة[25].فكل من الإيقاع و القافية يسيران بدفقة اهتزازية من البنية الزمكانية التي تزحزح بامتدادات آنية و رؤيا مفاجئة ، فهو لا يتحقق إلا بترداد فونيم صوتي يمنح المتلقي المتعة .

2- عند المحدثين الغرب :

من أشهر من تناول قضية الوزن /الإيقاع نجد جون كوهين الذي لا يؤمن بوجود الوزن إلا إذا قام على علاقة بين الصوت و المعنى « فهو إذا بناء صوتي معنوي فهناك صوت يستدعي دلالة أو يستدعي معنى »[26].

كما سن كوهين جملة أسس يقوم عليها الوزن في الملفوظ الشعري :

أ-أن ينطبق على أي لون من ألوان النثر.

ب-أن ينطبق على كل شعر تقليدي أو حر.

ج-أن يكون مبني على المعطيات الخطية .[27]

إن الوزن الذي يولد بتجانس الأجزاء وتماثلها يطلب معنى فذلك الانسجام يستدعي مدلولات تخدم البناء العام للنص الشعري أو الرؤية الكلية المنبثقة من ذات المبدع، سواء كان نظما تقليديا أو حرا بعيدا عن أي لون من ألوان النثر.

أما الإيقاع عند "جون كوهين "فهو « تردد زمني يمنح الأذن تناغما صوتيا »[28] فكما هو واضح أن

كوهين لم يفرق بين الوزن و الإيقاع في حين حدد وظيفة كل منهما فالوزن صوت يستدعي دلالة ، أما الإيقاع فهو ترداد أو تكرار للوحدات الفونيمية المحدثة للنغم الموسيقي عبر فترات زمنية نستدرك من خلالها ما استغرقته عملية التوقع .

ونجد جيرارد هوبكن لم يحد عن هذا التصور إذ يرى « أنه مقال يردد بصفة كلية أو جزئية نفس الصور الصوتية »[29] فهو بناء صوتي أساسه التكرار الفونيمي للوحدات الإيقاعية .غير أن "كوليردج" راح يربط بين الإيقاع و الوزن بقوله «فهو الوسيلة التي تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر على أكبر نطاق ممكن ، ففي قراءة الكلام الموزون يزداد تحديد التوقيع زيادة كبرى ، بحيث أنه يصبح في بعض الحالات التي تستعمل فيها القافية ، أيضا يكاد التحديد يصبح كاملا وعلاوة عن ذلك ، فإن وجود فترات زمنية منتظمة في الوزن يمكننا من تحديد الوقت الذي يحدث فيه ما نتوقع حدوثه »[30] فالإيقاع والوزن كل واحد منهما ليس في غنى عن الآخر بتحديد النسب المتجانسة المكونة من الأجزاء و القافية ، فيحصل التوقع و الإحساس بتدفق النغم الإيقاعي عبر فترات زمنية نستدرك من خلالها ما استغرقته عملية التوقع .

وكما يقول الدكتور "بول فريس"« لا يسمى البناء إيقاعيا إلا إذا اشتمل على تردد ولو بالقوة ».[31] فتردد الأحداث و تألفها يمنح الأذن حسا فنيا يخلق الانسجام بين النص و المتلقي « فهو النسيج من التوقعات و الاشباعات والاختلافات و المفاجآت التي يحدثها تتابع المقاطع »[32] .

و أدرك " ريتشاردز" أن تتابع المقاطع وانسجام الوحدات الإيقاعية وتجاورها كان بمثابة الاستجابة للدلالات والإيحاءات النفسية المنبثقة من لبنة الخطاب الأدبي ، فالشاعر وليد بنية زمكانية يبحث فيها عن بديل من أجل القضاء على صور الصراع ، لكنه لا يصل فيعود من حيث بدأ ، لهذا أصبحت القصيدة المعاصرة بنية كلية يندرج ضمنها أهم عنصر موكل لها ، ألا وهو الخيبة وعدم اكتمال الحلم .[33]

خلاصة:

من خلال تعاريف الوزن عند القدماء والمحدثين نجده يتمظهر في مظهرين : أولهما الذوق الذي يمنح النظم الشعري حلاوة وطلاوة ، فما ينظمه الشاعر ينبغي أن لا يخالفه ، وقد كانت العرب تعتبره معيارا للجودة ، أما المظهر الثاني فهو العروض كل ما له صلة بالأوزان.

أجمعت المفاهيم المحصورة فيما يخص الوزن أنه نظام مبني على تناسب الحركات و السكنات ، عبر فترات زمنية متناسبة .

أما الإيقاع فهو عنصر أساس لا بد من تواجده في النموذج الشعري ، فهو الذي يحدث الانسجام بين الحركة والسكون ، كما له ارتباط وثيق بالوزن ، غير أن هذا الأخير أشمل وأعم فهو نتيجة التناغم الموسيقي الذي يحدثها تتابع المقاطع والأصوات والأحداث فهو نسيج من التوقعات والاشباعات والمفاجآت على حد قولهم.

الهوامش

[1]أبو علي حسين بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر أدابه ونقده ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية بيروت ط1 1422ه 2001م ج1 ص 121 .

[2] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة دار الكتب العلمية بيروت ط1 1982 ص 287 .

[3] أبي يعقوب بن يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي ، مفتاح العلوم ، مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده ط1 1356ه/1937م ص 245 .

[4]حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ط2 1981 ص 263 .

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ،م8 ، ص408 .

[6] عبد الرحمان تبرماسين ، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر ، دار الفجر ، القاهرة، ط1،2003،ص139

[7] ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية ،ط3 ، ص53 .

[8] ينظر المرجع نفسه ص 156

[9] رشيد شعلال ،البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام ، مخطوط رسالة ماجستير معهد الآداب جامعة عنابة ،1993.نقلا عن ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ص248 .

[10] شكري عياد موسيقى الشعر العربي مشروع لدراسة علمية ، دار المعرفة للنشر ، القاهرة ،ط1978،2،ص154-155.

[11]إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو مصرية ط3 ، 1965 ، ص8-9 .

[12] إبراهيم أنيس ،موسيقى الشعر ، ص13 .

[13] عبد الرحمان تبرماسين ، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، ص141 .

[14]ينظر محمد العياشي نظرية إيقاع الشعر العربي ، المطبعة العصرية تونس 1979 ص 45 .

[15] محمد العياشي ، نظرية الإيقاع في الشعر العربي ، ص41 .

[16] المرجع نفسه ص42 .

[17] كمال أبو ديب ، في البنية الإيقاعية للشعر العربي دار العلم للملايين ، بيروت ط2 ،1981 ،ص89

[18] - عزالدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية) دار العودة بيروت ط3 ،1981،ص54 .

[19] عزالدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ص 63 .

[20].مختار حبار ، الشعر الصوفي القديم في الجزائر إيقاعه الداخلي ووظيفته ،ديوان المطبوعات الجامعية وهران 1997 ص 29 .

[21] محمد بنيس ، الشعر العربي المعاصر ، بنياته وابدلاتها ، ج3 الشعر المعاصر دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط1 1990 ص 107 .

[22] محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة بيروت ط1 ، ص 435-436 .

[23] رشيد شعلال ،البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام ، مخطوط رسالة ماجستير ص نقل عن أرسطو ، فن الشعر ، تر عبد الرحمان البدوي ، دار الثقافة بيروت ، ط3 ،ص249 .

[24]حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، الدار العربية للكتاب ،تونس ،ط3،2008،ص 101 .

[25] –عبد الرحمان تبرماسين ، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر نقلا عن

Michel aquien ,dictionnaire de poétique libraire général française ,petit la rousse édition 1989.paris 252-253 .

[26] جون كوهين ، النظرية الشعرية ، (بناء لغة الشعر واللغة العليا) ،تر، أحمد الدرويش دار غريب للطباعة والنشر ط4 ،2000 ، ص74 .

[27]المرجع نفسه ص 75 .

[28] جون كوهين ، النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر ،اللغة العليا) ص114 .

[29] المرجع نفسه ص 76 .

[30] عن يوسف حسن بكار ، بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم (في ضوء النقد) دار الأندلس للطباعة والنشر لبنان ط2 ، 1982 ، ص 208 .

[31] المرجع نفسه ص114 .

[32] د. شكري عياد ، موسيقى الشعر العربي ص156.

[33] المرجع نفسه ص157.